



ترك كلمة الرئيس المصري في طهران (قمة عدم الانحياز) لمقال يوم غد، لتحدث عن مقابلة بشار التي بثت مساء الأربعاء الماضي.

عيثا حاول بشار الأسد أن يلبس ثوب المنتصر في مقابلته المبرمجـة؛ أـسئلة وأـجوبـة، وربما "مونـتاجـاً" أـيضاً بلـغـة التـلـفـزيـون مع فـضـائـية "الـدـنـيـا"، وهي فـضـائـية تابـعة لـلـنـظـام، تـلـبـس ثـوـبـ الـاسـتـقلـالـية؛ تـمـاماً مـثـلـ اـسـتـقلـالـ صـاحـبـهاـ المـليـارـدـيرـ رـاميـ مـخـلـوفـ (ابـنـ خـالـ بـشـارـ) عنـ سـيـدـهـ وـولـيـ نـعـمـتـهـ الـذـيـ منـحـهـ فـرـصـةـ مـراـكـمـةـ الـمـلـيـارـاتـ بـأـسـالـيـبـ فـاسـدـةـ منـ عـرـقـ الشـعـبـ السـوـرـيـ.

لم يجد بشار غير "الـدـنـيـا"؛ فـضـائـيةـ ابنـ خـالـهـ لـكـيـ يـبـرـمـجـ مـعـهـ الـمـقـاـبـلـةـ الـتـيـ لـمـ تـأـتـ صـدـفـةـ قـبـلـ يـوـمـ وـاحـدـ مـنـ انـعـقـادـ مؤـتـمـرـ طـهـرـانـ لـدـوـلـ دـعـمـ الـانـحـيـازـ الـذـيـ سـعـتـ إـيـرـانـ إـلـىـ تـقـدـيمـهـ بـوـصـفـهـ اـنـتـصـارـاـ عـلـىـ الحـصـارـ الـمـفـروـضـ عـلـيـهـ بـسـبـبـ بـرـنـامـجـهـ الـنـوـوـيـ.

علىـ أـنـ ثـوـبـ الـمـنـتـصـرـ الـذـيـ لـبـسـهـ بـشـارـ لـمـ يـكـنـ كـافـيـاـ كـيـ يـعـلـمـ الـاـنـتـصـارـ الـكـامـلـ عـلـىـ "الـمـؤـامـرـةـ"ـ،ـ فـقـدـ كـانـ عـلـيـهـ وـالـعـالـمـ بـأـسـرـهـ يـرـىـ كـيـفـ أـنـ نـصـفـ التـرـابـ السـوـرـيـ لـاـ يـخـضـعـ لـسـيـطـرـتـهـ قـوـاتـهـ؛ـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـحدـثـ عـنـ اـنـتـصـارـ تـدـريـجيـ يـحـتـاجـ وـقـتـاـ كـيـ يـحـسـمـ،ـ وـسـبـبـ ذـلـكـ بـحـسـبـ تـبـرـيرـهـ أـنـ الـمـؤـامـرـةـ إـقـلـيمـيـةـ وـدـوـلـيـةـ وـلـيـسـ مـجـرـدـ تـمـرـدـ دـاخـلـيـ مـسـلـحـ.

فيـ الـمـقـاـبـلـةـ حـاـولـ بـشـارـ تـمـرـيـرـ جـمـلـةـ مـنـ الـأـكـاذـيـبـ،ـ وـالـتـيـ كـانـ بـعـضـهـ بـائـسـاـ وـمـكـشـفـوـاـ إـلـىـ درـجـةـ التـناـقـضـ مـعـ الذـاتـ؛ـ إـذـ أـنـهـ الـمـرـةـ الـأـوـلـىـ الـتـيـ يـزـعـمـ فـيـهـ مـثـلاـ أـنـ الثـورـةـ الشـعـبـيـةـ قـدـ بدـأـتـ مـسـلـحةـ مـنـذـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ،ـ وـلـيـسـ بـعـدـ أـيـامـ أوـ أـسـابـعـ.

وـقـدـ فعلـ ذـلـكـ لـيـهـرـبـ مـنـ سـؤـالـ السـبـبـ الـذـيـ دـفـعـهـ لـلـرـدـ عـلـىـ شـعـارـ "ـسـلـمـيـةـ،ـ سـلـمـيـةـ"ـ بـالـرـصـاصـ الـحـيـ وـالـاعـتـقـالـاتـ وـالـإـذـالـلـ.ـ بـحـسـبـ اـدـعـاءـاتـهـ،ـ فـقـدـ تـسـاقـطـ جـنـودـ قـتـلـيـ مـنـذـ الـيـوـمـ الـأـوـلـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـسـتـدـعـيـ سـؤـالـاـ حـولـ دـوـلـةـ أـمـنـيـةـ تـنـتـشـرـ فـيـ الـبـنـادـقـ بـيـنـ أـيـديـ النـاسـ عـلـىـ نـحـوـ يـمـكـنـهـمـ مـنـ اـصـطـيـادـ جـنـودـ بـتـلـكـ السـهـوـلـةـ!!ـ مـعـ الـعـلـمـ أـنـ القـاصـيـ وـالـدـانـيـ يـدرـكـ أـنـ جـرـ الـانتـفـاضـةـ بـعـدـ شـهـورـ نـحـوـ الـعـسـكـرـةـ هـوـ الـنـظـامـ،ـ لـيـسـ فـقـطـ مـنـ خـلـالـ اـخـتـرـاقـاتـهـ فـيـ بـعـضـ الـمـجـمـوعـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـتـيـ خـبـرـ الـتـعـاملـ مـعـهـ أـيـامـ مـواـجـهـتـهاـ لـلـاحتـلـالـ الـأـمـرـيـكـيـ،ـ وـلـكـنـ أـيـضاـ بـعـدـ أـنـ فـرـضـ عـلـىـ النـاسـ الـيـأـسـ مـنـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ مـواجهـةـ آلـةـ الـقـتـلـ بـالـمـظـاهـرـاتـ وـحـدـهـاـ فـيـ بـلـدـ يـحظـىـ فـيـ الـنـظـامـ بـدـعـمـ طـائـفةـ مـعـتـبـرـةـ وـأـقـلـيـاتـ أـخـرىـ خـائـفـةـ مـنـ الـبـدـيلـ تـشـكـلـ مـاـ لـاـ يـقـلـ عـنـ رـبـعـ الـسـكـانـ.

بعيداً عن الأكاذيب التقليدية، فقد كان على النظام أن يفسر أيضاً جملة من الأشياء من بينها رفضه الحوار مع المعارضة، وهنا راح يتحدث عن معارضة انتهازية لا مصداقية لها، وكان لافتاً أنه شمل بالتصويف ما يعرف بمعارضة الداخل، وسخر من دعوتها الأخيرة لوقف العنف معتبراً أنها لم تأت إلا بعد هزيمة خيار العنف واليأس من قدرته على الإطاحة بالنظام. أما الانشقاقات فقد سخر منها، أو سخفها إلى درجة مزريّة عندما اعتبرها "عملية تنظيف" للوطن، وذهب إلى أن بعضها قد تم بعلمه وتسهيلاً لأنه يريد التخلص من أمثال أولئك المتهمنين بعدم الولاء للوطن الذي جرى اختصاره بالرئيس وزمرته الحاكمة.

وقد بدت كلمة وطن التي تكررت مراراً في الحوار بائسة إلى حد الابتذال.

تحدث عن الطائفية، وبدا شيئاً عظيماً يفتني في معارضته الطائفية للدين؛ هو الذي لعب على وتر الطائفية من أجل دفع طائفته للانحياز إليه رغم أنه حكمه بات أقرب لحكم العائلة منه لحكم الطائفة. كما حيا رجال الدين الذي وقفوا إلى جانبه إلى درجة أن بعضهم (بحسب ما قال) عُذب في الأقبية من أجل تغيير موقفه، لكن ألي، في رواية يسمعها الناس للمرة الأولى، إذ أن إعلام النظام ذاته لم يتحدث يوماً عن شيخ استشهاده عُذب في الأقبية من أجل تغيير موقفه لكنه صمد ولم يغير!! في أسباب المؤامرة على سوريا تحدث عن المقاومة والممانعة وفلسطين، لكنه ركز بشكل لافت على مطلب الغرب بالابتعاد عن إيران، وكانت هذه فقرة غزل استثنائي بإيران لم يسبق لها مثيل في خطابات ومقابلاته، الأمر الذي يعني القبول بوصايتها عليه، لاسيما حين سُخِّنَت المبادرات السياسية باستثناء المبادرة الإيرانية.

كل ذلك يؤكد أن سياق المقابلة إنما جاء عشية قمة طهران والمبادرة التي وعدت إيران بها من أجل إظهار تماسك النظام على أمل أن تستثمر القيادة الإيرانية ذلك ومعه التصعيد العسكري على الأرض في مساومة سياسية تنقذ ما يمكن إنقاذه، وتجد مخرجاً؛ ليس للعائلة الحاكمة فقط، إنما بشكل أهم للطائفة التي ينتمي إليها، والتي تعتقد إيران أن الحفاظ عليها إنما يتم من خلال تسوية لا تمس المؤسسة العسكرية والأمنية حتى لو أفضت إلى تنازل الرئيس، وإن كان من الصعب عليها التصرّح بالشق الأخير منذ البداية (طبعاً جاءت كلمة مرسى لتثير إحباط القيادة الإيرانية والنظام السوري في آن).

تلك هي الخلاصة التي أنتجت المقابلة، أعني إظهار تماسك النظام وصموده من أجل إقناع المعنيين (من المعارضة والداعمين لها) بالحوار الذي يفضي إلى صيغة حل وسط لا غالب فيها ولا مغلوب بحسب تعبير بعض أنصار النظام في الساحة اللبنانيّة.

هكذا حاول بشار بيع بضاعة فاسدة على المعارضة والسوريين والعرب والإقليم، وحتى المجتمع الدولي، وهي بضاعة لن يشتريها أحد لأن الكل يرى كيف يتربح النظام ولا يجد معه غير طائفته وبدرجة أقل بعض الأقليات والمنتفعين، حتى لو كان بواسمه الصمود لشهر آخر؛ ليس بسبب قوته؛ بل بسبب الموقف الغربي المناصر لبرنامج الكيان الصهيوني في إطالة أمد المعركة من أجل تدمير سوريا وإشغالها بنفسها لعقود.

المصدر: الدستور

المصادر: